

# قراءة النص القرآني بين الهرمنيوطيقا الرومانسية والتفسير النظري (بحث مقارن)

محمد حسين صادق (\*)

## حدود البحث

بما ان هذا البحث مقارنة بين الهرمنيوطيقا الرومانسية وعلم تفسير (القرآن الكريم) فسوف يلتزم بحدود المأخوذ من المدرستين مع مراعاة الأمانة العلمية، ولن نبتعد عن هذا المنهج، في اختيارنا للمصادر المهمة في اثراء هذا البحث.

## مشكلة البحث

في هذا البحث نريد التوصل لدراسة نقاط الاشتراك والاختلاف بين الهرمنيوطيقا والتفسير، وذلك عن طريق التعرف على الطرائق والأدوات التي استعملها كل منهما في فهم النص وتفسيره، يعدان الهدف والغاية واحدة وان اختلفت المساحة التي يتحركان عن طريقها، فمن المعلوم أن الهرمنيوطيقا تشمل كل النصوص، بينما علم التفسير يختص بتفسير النص القرآني حصراً.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين محمد(ص) وعلى أهل بيته (ع).

إن الغور في بحر الهرمنيوطيقا بوصفه علماً يصعب التعمق في مطالبه ومدارسه، مما يدعوا الى التدرج في الغور في اسباره، أن العنوان لم يتطرق لكل مدارسه، واجتهاداته، فتم اختيار الهرمنيوطيقا التأويلية الرومانسية وذلك لعدة اعتبارات أستعرضها بنقاط:

- 1- بوصفه المنطلق والاساس لهذا العلم.
  - 2- إمكانية المقارنة بينها وبين علم التفسير المختص بالقرآن الكريم.
  - 3- وضوح المحددات التي استعملتها في فهم النص وتفسيره.
- هذه اهم الاعتبارات المهمة في اختيار هذا العنوان. وسوف يكون هذا البحث ضمن المنهج الوصفي التحليلي.

(\*) باحث / بيت الحكمة / قسم دراسات الاديان

## المبحث الأول : النشأة والتعريف بالمصطلحات

### أولاً . كيف نشأت الهرمنيوطيقا :

هناك عدة آراء يمكن ايجازها بما يلي:

١- يرى عبد الكريم شرفي<sup>(١)</sup> . أنَّ الهرمنيوطيقا خرجت من رحم الأدب، حيث كانت النصوص الأدبية منتشرة في العالم الغربي وهي تمتد الى الاغريقيين ومن أبرز الشخصيات أنداك (ارسطو) حيث كان هناك اهتمام كبير للأدب من شعر ونثر وقصص روائية تركت آثارها في مناطق مختلفة في العالم، فيرى هذا الرأي ان الهرمنيوطيقا ولدت من رحم الأدب.

٢- الراي الأخر<sup>(٢)</sup> ، يقول بأنها انطلقت من فهم النص الديني، ثم استقلت على يد (شلاير ماخر) فولدت من رحم النصوص الدينية.

يقول (غا دامر) تدل الهرمنيوطيقا في علم اللاهوت على فن تأويل وترجمة الكتاب المقدس، أي التفسير والتعبير وهو في الواقع مشروع أنشأه أعضاء الكنيسة بوعي منهجي دقيق.

(أرسطوطاليس) هو أيضاً استعمل (هرميناس) المعنى بنفسه، في كتاب له في علم الاخلاق وعدها جزءاً من أجزاء المنطق، ثم تطورت بعد عصر ارسطوا والاباء الكنسيين الى ان جاء العصر الوسيط أي الرابع الميلادي (٤٣٠ م)، فظهر (تايسين واوغستين) وكانا متدينين وبالخصوص أوغستين ويعد أقرب واشبه القساوسة الى سلوك تعاليم المسيح، وكان أيضاً شاعراً،

وأديباً، وعالماً ، له جذور عربية في الشرق الأوسط من أصول جزائرية<sup>(٣)</sup> .

أما (تايسون ) من اللاهوتيين الزهاد وكان منعزل في حياته متشائماً يعيش العزلة والتقصف في الحياة، وبعد ذلك جاء (كلادي نيوس) وهو المبادر الأول في وضع اللبنة الأولى لعلم (الهرمنيوطيقا) إذ عاش في القرن الثامن عشر، وهو اول من فكر بشكل علمي بتحويل هذا العلم الى علم مستقل يصلح لفهم وتفسير كل النصوص وبدون استثناء، وذلك عن طريق وضع قواعد وضوابط، لكن هذه الجهود اقتطفها (شلاير ماخر) مؤسس الهرمنيوطيقا الحديثة وكان يمتاز بالذكاء الحاد، والدقة، وهو رجل دين متدين وكان يفهم بالنصوص الدينية اكثر من الآباء الكنسيين، وكان فيلسوفاً، فاستطاع ان يضع القواعد والضوابط لهذا العلم، فصار علم الهرمنيوطيقا على يديه علماً مستقلاً واطلق تعريفاً عليه في الجملة المشهورة بأنه (فن الفهم)<sup>(٤)</sup> .

### ثانياً . التعريف بالمصطلحات :

١ - مفهوم الهرمنيوطيقا: عنوان أطلق على تلك الدراسات اللاهوتية التي تُعنى بتأويل النصوص الدينية بطريقة خيالية ورمزية، ابتعاداً عن المعنى الحرفي المباشر، فتبحث عن المعاني الحقيقية والتعمق في أغوار النص المقدس، وقد تطور مفهوم (الهرمنيوطيقا) في العصر الحديث فانقل من البحث في اللاهوتيات الى مجالات أكثر، لتشمل العلوم الإنسانية كالتاريخ وعلم الاجتماع وعلم الإسونيات والنقد الادبي.

وشنتت كلمة (الهرمنيوطيقا) من الفعل اليوناني (hermeneutic) ويعني (يفسر) وقد ارتبط هذا الاسم عند اليونان بما يسمى تفسير النصوص المقدسة ونقلها من مستوى اللاهوتية الى مستوى البشرية<sup>(٥)</sup>، كما هو الشأن (بالإله هرمس) الذي كان يتقن لغة الآلهة ثم يترجم مقاصدها وينقلها الى بني البشر<sup>(٦)</sup>.

وظهرت الهرمنيوطيقا في عصر النهضة في القرن السادس الميلادي، وانتشار الفكر البروتستانتي، ولذلك شعروا بالحاجة الى وضع قواعد ومنهجية لتفسير الكتاب المقدس، وأول كتاب صدر في هذا الاتجاه باسم الهرمنيوطيقا (لدان هاور) وقد عرف فيه مصطلح الهرمنيوطيقا (القواعد والمناهج اللازمة لتفسير الكتاب المقدس) وهذه التأويلية الكلاسيكية تتلائم كثيراً مع المعنى التقليدي لمصطلح التفسير، وتعد هذه المرحلة الأولى من مراحل تطور هذا المفهوم.

ثم جاءت المرحلة الثانية بما تسمى (التأويلية الرومانسية) بدأت من شلاير ماخر (١٧٦٨-١٨٣٤م) وسوف نتطرق عنها فيما بعد.

ومن ثم ظهرت المرحلة الثالثة من التطور بما يطلق عليها (الهرمنيوطيقا الفلسفية) إذ نشأت في القرن العشرين، وبدأت من، مارتن هايدجر (١٨٨٩-١٩٧٦م) وكان فيلسوفاً، حول الهرمنيوطيقا الى الاتجاه الفلسفي، حيث كان تركيزه على النص ولم يعتني بالمراحل التي وضعها سلفه شلاير ماخر، ودلتاي، ولكن هذه النظرة الفلسفية طورت وطرحت كنظرية علمية لتفسير النص بواسطة تلميذه (غادامر) وقد أحدثت تحولاً رئيسي وجدي في اتجاه التأويلية وأهدافها ووظائفها، وكان لها النفوذ الأكبر في أذهان الباحثين، لذلك نتحدث عن

آراء هايدجر وغادامر بوصفهما الأساس التي قامت عليه الهرمنيوطيقا الفلسفية، حيث تغيرت الهرمنيوطيقا من علم المنهج الى هدف فلسفي، لأن هايدجر أقام التأويلية على أساس فلسفي، لذلك فقد غير وظيفة هذا العلم ومنهجه، فبدل من البحث حول (منهج لفهم النصوص أو منهج عام للعلوم الإنسانية) الى منهج جديد عبر عنه (البحث عن معنى الفهم ومعنى التفسير نفسه وحقيقته)، وبما ان الفلسفة هي فهم الوجود فلا بد أن يستفاد من التأويلية في فهم الوجود.

هذه خلاصة، سلطت الضوء بها على أهم المراحل التي تطور بها هذا المفهوم<sup>(٧)</sup>.

**٢- الهرمنيوطيقا الرومانسية:** (شلاير ماخر)، يعد هو صاحب المنتج التاريخي لهذا العلم، بوصفه من علماء الأنسنتات، وكل المدارس الهرمونيوطيقية التي ظهرت وتأسست اعتمدت على الهرمنيوطيقا الرومانسية في انطلاقتها، ثم بعد ذلك استقلت عنها، كالمدرسة الفلسفية بتفرعاتها.

والهرمنيوطيقا الرومانسية تعتمد في فهم أي نص سواء ديني أو أدبي أو تاريخي على هذه المرتكزات: الأولى: المحدد اللغوي، والثانية: على المحدد النفسي، فعن طريق تحديد الدلالات اللفظية يتم تحديد هوية النص في الإطار الصوري، وهي ما تسمى بعملية ضبط النص والقراءة، ومن ثم يصبح المحدد الأول لفهم النص معرفة اللغة وحيثياتها، مثل كيفية الاستظهار، وما يشكله السياق، والقرائن، وغيرها. وهذه صنعة مهمة وأساسية في فهم النص على المستوى الدلالي التصوري.

وبما أن لكل نص متكلم وله مقاصد ومراد جدي يريد ايصاله من هذا النص، فمجرد اعتماد

الاستظهار اللغوي الصوري قد لا يوصلنا الى مراده الجدي، فلا بد لنا من محدد آخر أطلق عليه (شلاير ماخر) بالمحدد النفسي، وهذا المحدد يبحث في دراسة وقراءة أفكار المتكلم والظروف التي عاشها، ومدى العمق الذي كان يتمتع به، وحيثيته العلمية، فكان هذا المحدد المرتكز الثاني في مدرسة الهرمنيوطيقا الرومانسية<sup>(٨)</sup>.

وجاء بعد (شلاير ماخر) تلميذه (دلتي) وكان يتمتع بالذكاء العالي، فزاد شرطاً لهذه المعرفة وأطلق عليه (الروح التنبؤية) في دراسة النص، عن طريق التدقيق في كل جزئياته والتفاصيل التي تحكم النص، كوضع الكلمات في الجملة، وسبب اختيار الكلمات في هذا الموقع من النص، وهكذا علاقة جملة بجملة وكلمة بكلمة، فهذه القدرة على دراسة البناء البنيوي للنص بحاجة الى قدرة خلاقة أطلق عليها (دلتي) بالروح التنبؤية، ولذلك فهو يرى أن الفهم في العلوم الإنسانية يناظر التفسير في العلوم الطبيعية، فإذا كان تفسير الحادثة الطبيعية يهتم بربط أحداث بعضها مع بعض وفقاً لقانون الطبيعة، والتي لا تخبرنا عن الطبيعة الداخلية للأشياء فأن الفهم يحاول أن ينفذ الى المعاني الموجودة داخل الأشياء، أي المعاني التي تمكنا من معرفة الحالات الباطنية الخاصة بنا، بمعنى أن الفهم يركز على ما نسميه بالرؤية الداخلية للطبيعة البشرية التي نمتلكها جميعاً<sup>(٩)</sup>.

هذه هي الأركان الأساسية التي اعتمدها الهرمنيوطيقا الرومانسية والتي سوف نعتمد عليها في هذا البحث المقارن.

### ٣- علاقة الهرمنيوطيقا بالنص القرآني:

في تراثنا الإسلامي المتجذر عبر التاريخ، من أبرز معالمه تفسير القرآن الكريم، وما وصلنا من مناهج تفسيرية في هذا الموضوع هو (التفسير بالمأثور<sup>(\*)</sup>)، والتفسير النظري<sup>(\*\*)</sup> وما يميز التفسير النظري عن التفسير بالمأثور، هو أن الأول يتم فيه أعمال البحث والاجتهاد، بما يؤدي أحياناً الى تأويل النص الى ما يتجاوز المعنى الظاهري بما يسمى (التأويل) الى ما يكون علاجاً لقضايا وحاجات كل زمن وفي مختلف الظروف، باعتبار أن النص مصدراً لعلاج المشاكل الإنسانية في كل زمان ومكان، ومن غير أن يكون محدداً بشرائط عصر النزول، وبهذا الاعتبار يكون القرآن رسالة خالدة، تعيش مع الانسان وترافقه ما بقية الدنيا وأما التفسير بالمأثور فيهدف للوصول الى المعنى الظاهري للنص القرآني عن طريق تجميع الأدلة التاريخية واللغوية التي تساعد في تحقيق فهم النص فهما موضوعياً، وكما فهمه المعاصرون لنزول هذا النص<sup>(١٠)</sup>.

ولابد من توضيح نقطة مهمة في هذا المجال وهو أن التمايز بين المنهجين (التفسير بالمأثور والتفسير النظري) في الواقع العملي التطبيقي لم يصل الى حد الافتراق التام، فلم تخلُ كتب التفسير بالمأثور من بعض الاجتهادات والآراء التأويلية، حتى عند اهل التفسير القدماء، ومن جانب آخر لم تتجاهل الكتب التفسيرية المعتمدة على التأويل الكتب التاريخية واللغوية وحتى الأحاديث التي لها علاقة في تفسير النص<sup>(\*\*\*)</sup>.

## المبحث الثاني : مرتكزات الفهم والتفسير عند الهرمنيوطيقا الرومانسية

يعود الفضل الى (شلاير ماخر) الذي وضع فلسفة معرفية في التعامل مع أي نص يمكن لنا أن نتعامل معه ضمن القواعد والخطوات التي رسمها والتي استطاع أن يجعل من الهرمنيوطيقا علماً مستقلاً يمكن الاستفادة من تطبيقاته لفهم أي نص، لقد عمد (شلاير ماخر) على صياغة الاجراء اللازم الذي رآه ينسجم مع هذه المنطلقات التأسيسية للتأويلية الحديثة انطلاقاً من رؤيته، لقد آمن (شلاير ماخر) أن كل نص هو إنجاز فردي يقوم به المؤلف وينتهي الى نظام لغوي، وفي ضوء تلك الرؤية يقسم النص الى بعدين:

١- البعد اللغوي (التأويل النحوي): يهتم بدراسة النص عن طريق اللغة التي كتب بها النص، أي فهم خصائصها البنيوية عن طريق ارجاعها الى المراجع المعجمية والنحوية<sup>(١١)</sup>.

٢- البعد الذاتي أو النفسي (التأويل الذاتي): يبحث في النص ويفهمه باعتباره جهداً فردياً يرتبط بالموهبة والعبقرية الذاتية التي أنتجت هذا النص، ومن المعلوم وحسب رأي (شلاير ماخر) أن البعدين يشيران الى تجربة المؤلف التي يسعى القارئ الى إعادة بنائها حتى يحقق الإحاطة الكاملة بشخصية المؤلف ومن ثم في فهم وتفسير النص، فإن فهم شخصية المؤلف وتجربته خطوة أساسية في فهم النص، وذلك من خلال رؤيته في أن النص ببعبه اللغوي والنفسي هما من نتاج المؤلف، ومن هذا المنطلق لا بد لنا من دراسة شخصية المؤلف والاحاطة بها من كل الجهات<sup>(١٢)</sup>، ففهم النص يتحقق بفهم الكاتب

وهنا لا بد من الإشارة إن بعض آراء وبحوث الهرمنيوطيقا أو التأويلية الرومانسية منها، وإن لم تطرح تفسير النص الديني، بل لمطلق النص أو اختصت بنصوص العلوم الإنسانية أو شملت النصوص الدينية غير الإسلامية، مع كل ذلك فإنها تؤثر في مجال الدين والقضايا والنصوص الدينية والتي هي أعم من النص الديني الكنسي، فهي تبحث عن وضع منهج وقواعد للتفسير وفهم النص، ولذلك فإن آراءها ومطالبها سوف تؤثر في القضايا والنصوص الدينية، وخاصة أن الأديان الإلهية تعتمد على النص الديني المستمد من الوحي، فهو فضلاً عن اعتمادها على أقوال الأنبياء (س)، أو سنة النبي (ص) وأولياء الدين وأقوالهم، لذلك فنظرية الهرمنيوطيقا الرومانسية، والفلسفية، والتي يتمحور اهتمامها حول النص، سوف تؤثر في مجال القضايا والنصوص الدينية، وبدون استثناء.

ومن هنا فقد ارتبطت الهرمنيوطيقا ولاسيما الرومانسية والفلسفية مع كثير من القضايا المعاصرة، في مجال الفكر والثقافة والمعرفة الدينية، بل كان لها التأثير الفاعل فيها، أمثال البحث عن إمكان أو مشروعية القراءات المختلفة للدين أو النص الديني والإسلامي، وتاريخية الفهم، وحصر كل فهم وتفسيره بزمانه، والتغيير المستمر والدائم لعملية الفهم، على اعتبار أنها ترى أن كل فهم يتأثر بظروف وخلفيات المفسر وهي متغيرة دائماً، فالتفسيرات متغيرة ومتعددة، وتأريخية النص وتأثره بثقافة عصره، وبالوعي التاريخي لمؤلفه، وبالاهتمام بوعي المفسر وخلفياته وظروفه ومعلوماته وميوله وأحكامه المسبقة في تفسير النص، وغيرها من العناوين الأخرى .

باعتباره ذاتاً منتجة ومبدعة للنص وبالمقابل يكون القارئ مطالباً بأن يبتعد عن كل ما تعلق بذاته من تراث بل عن الأفق التاريخي الراهن الذي يعيش هو في كنفه، بمعنى أن يساوي نفسه بالمؤلف ويحل مكانه من خلال النص<sup>(١٣)</sup>، وعلى الرغم من أن الدعوة الصارمة والمتشددة (لشلاير ماخر) الى أن يستوطن القارئ تجربة المؤلف ويحقق فهم مساوٍ لفهم المؤلف، إلا أنه لم يكن صارماً مع القارئ الى درجة الانغلاق التام، بل طمح بأكثر من ذلك والذي يؤكد هذا القول هو إصراره على أن يفهم المفسر النص كما يفهمه مؤلفه ثم بعد ذلك أن يفهمه بشكل أفضل من المؤلف في جملة مشهورة له يقول فيها: (إذا كنا هرمينوطيقين حذرين علينا أن نعرف الأشياء التي لم يكن المؤلف على وعي أو علم بها لكونها قريبة جداً منه)<sup>(١٤)</sup>.

٣- ثم جاء (دلثاي) وهو احد تلاميذ (شلاير ماخر) حيث استفادة من الخطوات التي بناها استاذاه في فهم وتفسير النص، وكان (دلثاي) معجباً به حيث قال في وصفه إن شلاير ماخر انسان مفكر بصورة عميقة، لقد حول اتجاهه الفلسفي الى صورة الفهم وحاول أن يستوعب ما هو محوري بالنسبة لكل مجال من مجالات الحياة حتى بدا أنه يشع نوراً واضحاً أضاء كل صور الحياة<sup>(١٥)</sup>، فهذا الوصف من دلثاي يكشف التأثير به وبنظريته، فاذا كانت هرمينوطيقا (شلاير ماخر) تأسيسية من الناحية التاريخية تبحث في القواعد والمعايير المنهجية العامة التي تجعل من الفهم فناً أو علماً ممكناً فقد طورها (دلثاي) لتصبح المنهاج العام للفهم في العلوم الإنسانية<sup>(١٦)</sup>، فعملية الفهم عنده

تقوم على نوع حوار بين تجربة الذات وتجربة الآخر المتجلية في النص، وتتسم عملية الفهم بمعايشة التجربة التي يعبر عنها النص بمعنى آخر، ان الفهم الحقيقي للنصوص الإنسانية يتأسس على استعادة الحياة الداخلية للآخر التي يعبر عنها النص<sup>(١٧)</sup>، يقول (دلثاي): (اننا لا نعرف في شخص آخر شعوراً مالم نعايشه نحن) فما يريد دلثاي تقريره هو إننا لا نستطيع أن نفهم بدون أن نتعاطف وتكون عندنا مشاركة وجدانية، سواء أكان الشخص الذي نفهمه شخصاً بحقيقته أو نصاً دينياً أو أدبياً<sup>(١٨)</sup>، فهو يعمم طريقته في الفهم على كل جوانب الحياة ويستند في جعل مبدأ التعاطف والتعائش شرطاً مهماً في عملية الفهم على النحو الآتي:

- أن كل شخص يملك بناء عقلياً يشبه بناء الشخص الاخر.

- الخبرات الفعلية عند الشخص موجودة بالقوة عند الآخر، وبالتالي نستطيع أن نفهم المؤلف وهو يعبر عن أفكاره وانفعالاته لأنها موجودة فينا بالقوة ويتم فهمها عن طريق إعادة تأليفها (بالتعاطف والتعائش) مع تجربة المؤلف، بما يسمى (القدرة التنبئية).

ويحتل التعبير مكاناً مهماً في نظرية (دلثاي) فهو الأساس الذي تبنى عليه معرفتنا لذاتنا، فالتعبير عنده هو الذي يمنح الكيان الموضوعي المتميز للتجربة الإنسانية<sup>(١٩)</sup>، فالتعبير يعطي الأحداث النفسية السريعة في الذوات صفة الظهور والسكون وأنه الواسطة التي عن طريقها تعرف العقول الأخرى، فالحياة العقلية للآخرين تنقل إلينا عن طريق

التعبيرات التي يمكننا فهمها وإدراكها ويلخص (دلناي) المسألة كلها في عبارته المعروفة (أن ما هو معطى باستمرار تعبيرات الحياة ولأنها تظهر في عالم الحواس فإنها تكون باستمرار تعبيرات عن عقل تساعدنا على فهمه)<sup>(٢٠)</sup>.

ويؤكد (دلناي) في نظريته هذه أيضاً على موضوع التفسير، فهو يرى أن التفسير الصحيح يمكن أن يستنبط الفهم وأن هناك علاقة وثيقة بين الفهم والتفسير فإذا أردنا أن نفهم شخصاً من الأشخاص يجب علينا أن نفسر أفعاله وكتاباتاته في عملية واحدة متجانسة، فقال: (إذا أردنا أن نفهم المعاني المحددة لإجراء أية وحدة لغوية أو لسانية فيجب أن نقرب من هذه الوحدة بشكل تعني فيه أساساً بالمعنى دون معرفة المعاني الجزئية التي يتكون منها الكل)<sup>(٢١)</sup>.

وخلاصة القول إن الفهم في فلسفة الحياة عند (دلناي): ارتباط بالتعبير، تعاطف ومشاركة وجدانية، التفسير، والتكهن بما يسمى (الروح التنبؤية)، ويتضح أنه أسهم في جعل الهرمنيوطيقا نظرية في الفهم والإدراك إذ استوعب في ذلك كل العلوم الإنسانية، لكونها تختص بالموجودات البشرية ومن ثم تميزها من العلوم الطبيعية التي تختص بفهم ودراسة الطبيعة في جانبها المادي.

### المبحث الثالث : مرتكزات الفهم عند أصحاب التفسير

قبل الشروع في كتابة المرتكزات التي أعتمد عليها المفسرين في فهم وتفسير النص القرآني، كان من الضروري التذكير بالملاحظات التي التزم بها المفسرين قبل الشروع في الفهم والتفسير.

١- إن مرتكزات ذهن المفسر وخلفياته الثقافية والعرفية لا اعتبار بها في فهم المتن القرآني والروائية.

٢- إن الهدف الأساس في فهم النص القرآني وتفسيره هو فهم مقصود الماتن، وذلك لعدم إسناد ما هو خارج عن مراده إليه، لأنه سوف يكون كذب وإفراء عليه، وذلك ما يحكم العقل العملي بقبحه ويحكم الشرع بحرمة.

٣- إن القرآن كتاب جامع للقوانين والتشريعات الإلهية لكل إنسان الى يوم القيامة، ويتضمن كبريات عامة وقواعد وأحكام كلية، ومن هذا المنطلق نزل الخطاب الإلهي على نحو القضية الحقيقية وليس على نحو القضية الخارجية (\*\*\*\*).

٤- إن أسباب نزول الآيات القرآنية لا تخصص كبريات القوانين والتشريعات الكلية المستفادة من إطلاق وعموم هذه الآيات.

٥- إن التوصل الى مراد المتكلم لا بد أن يعتمد على القرائن الحافة بكلام المتكلم وعلى الدلالات اللفظية والقواعد العقلانية المتعارفة في المحاورات العامة.

٦- إمكانية وضع ضابطة ثابتة غير قابلة للتغيير في تفسير الخطاب القرآني بما يسمى عند المفسرين (المنهج التفسيري)<sup>(٢٢)</sup>.

هذه أهم الملاحظات التي لا خلاف فيها بين المفسرين، وهي بمثابة مدخل للتعرف على أهم المرتكزات التي يعتمدون عليها المفسرين في فهم وتفسير المتن، وقيل الولوج في بحث المرتكزات علينا التعرف على أهم المصادر التي اعتمد عليها المفسرين داخل النص وخارجه :

وغيرها. ومن البعيد إدراك المراد الجدي للمتكلم من دون الرجوع الى الكلام المشابه أو المخالف لتلك العبارة، بل قد يتعذر ذلك، وإن عدم الاهتمام بالقرائن الداخلية غالباً ما يكون سبباً في عرقلة العملية التفسيرية وسيرها وفق القواعد المتعارفة عند العقلاء.

### المرتكز الثاني (المصادر التفسيرية):

تعتبر المصادر التفسيرية من أهم المرتكزات التي يعتمد عليها المفسر، وبغض النظر عن مساحة هذه المصادر إلا أنهم متفقون على أهميتها في عملية فهم النص القرآني وتفسيره، ونرى من الضروري التعرف من الناحية التطبيقية على ذلك، وفيما يلي نستعرض أهم المصادر:

#### ١- الآيات القرآنية:

إن دلالة بعض النصوص القرآنية لتفسير وفهم مراد ومقصود المتكلم من آيات يمكن أن يكون لها تفسيرات متعددة فيما تسمى في عرف علوم القرآن (بالآيات المتشابهة) من أوضح التطبيقات على اعتماد المفسرين على القرآن في الفهم والتفسير، فالآيات التي تحدثت عن (العرش، والكرسي، ويد الله، والى ربها ناظرة، ومجيئ الرب يوم القيامة صفاً مع الملائكة وغيرها، لا يمكن التمسك بظواهرها، فلا بد من إرجاعها الى ما يسمى الآيات المحكمة التي لا تقبل التأويل والتفسير إلا لمعنى واضح وبين، لكي نفهم المراد الحقيقي للمتكلم فيما أراده من هذه العناوين<sup>(٢٦)</sup>.

- ١- الآيات القرآنية.
- ٢- السنة (قول وفعل وتقرير) الرسول (ص) وأهل البيت (ع).
- ٣- العقل.
- ٤- العلوم التجريبية.
- ٥- المصادر التاريخية والجغرافية.
- ٦- اللغة العربية وآدابها.
- ٧- علوم القرآن.
- ٨- الشهود والمكاشفة.
- ٩- الإجماع.

لقد ذكر علماء التفسير وعلوم القرآن آراء مختلفة حول مصادر التفسير نذكر مجموعة من الآراء، أشار الشيخ الطوسي (ت-٤٦٠هـ) في مقدمة تفسير التبيان<sup>(٢٣)</sup>، وكذلك الشيخ الطبرسي (ت-٥٤٨هـ) في مقدمة مجمع البيان<sup>(٢٤)</sup>، الى أن مصادر التفسير: السنة، والعقل، والاجماع. وتعرض الزركشي الى مصادر التفسير وعد منها: السنة وبعضها من علوم القرآن<sup>(٢٥)</sup>، وأوصلها بعض المعاصرين الى أكثر من ذلك وهي المذكورة سلفاً. أهم المرتكزات التي اعتمد عليها المفسرين هي:

#### المرتكز الأول (البناء العقلاني):

فان من الطبيعي لدى العقلاء إذا أرادوا فهم عبارة في كتاب ما، لأستيضاح مقصود ومراد المتكلم، الأخذ بنظر الاعتبار القضايا والقرائن السابقة واللاحقة لتلك العبارة، وتلك هي طريقة العقلاء في فهم مراد المتكلم؛ لأنه في كل خطاب لأي متكلم لابد وأن يوجد، العام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين،



## ٢- السنة النبوية:

من خلال هذه الآية، أن القرآن الكريم نُزِّلَ على النبي (ص) ليبينه للناس، فإذا لم يكن بيانه (ص) حجة وواجب الاتباع، فإن هذا الامر المذكور في الآية يصير لغواً ومخالفاً للحكمة الإلهية، والله الحكيم لا يأمر بخلاف الحكمة أبد.

### ٣- العقل:

المقصود بالعقل هو ذلك المصدر السليم البعيد عن أهواء النفس والمصالح النفعية الشخصية، فالعقل هذا يعتبر من المصادر التي يعتمد عليها في فهم النص وتفسيره، كما أشار الى ذلك الشيخ الطوسي، والشيخ الطبرسي<sup>(٢٩)</sup>، إن العقل يهدي الانسان الى اليقين عن طريق البرهان، فمن هنا صارت حجتيه ذاتية ودليلاً معتبراً في فهم وتفسير المراد والمقصود من الآيات القرآنية، مضافاً الى ذلك فقد دعى القرآن الكريم الإنسان في عدة مناسبات الى التفكير والتدبر، ولو لم يكن العقل حجة في الفهم لكانت تلك الدعوة لغواً وعبثاً.

قال تعالى: {وَإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} سورة يوسف / الآية ٢.

وقال تعالى: {وَإِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِنُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} سورة النحل / الآية ٤٤.

### ٤- العلوم التجريبية:

ان المقصود بها العلوم القائمة على الحس والتجربة (كالطب، وعلم النجوم، وعلم التربة، وعلم الاحياء، وعلم الفيزياء... الخ) والعلوم الاجتماعية والإنسانية...، فقد جاء في القرآن أكثر من ألف وثلاثمائة آية تتحدث حول الطبيعة والنجوم<sup>(٣٠)</sup>، مما يستلزم فهمها وتفسيرها التدقيق فيما توصلت اليه هذه العلوم من نتائج، وفي حالة عدم الرجوع اليها في فهم وتفسير هذه الآيات قد يتسبب ذلك في وقوع المفسر في خطأ في التوصل الى مراد ومقصود الماتن، ولا بد

تعد السنة أحد أهم المصادر في التفسير لفهم مراد الماتن، وعلى الرغم من وجود آراء مختلفة عند المفسرين في المساحة التي تشغلها السنة في فهم النص وتفسيره، إلا أن لها مكانة خاصة في هذه العملية التفسيرية، حتى أن البعض من المحققين نُسب اليه أنه لا يجوز تفسير القرآن من دون الرجوع الى السنة، وتشمل السنة ثلاثة أقسام: أولاً «القول»: المتمثلة بأقوال الرسول (ص) في بيان المقصود من الآيات، ومما يدل على أهمية ذلك، ما حكي عن ابن مسعود، أنه قال: (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن)<sup>(٣٧)</sup>.

ثانياً «الفعل»: بمعنى أن يكون عمل النبي (ص) تفسيراً للمراد من الآيات القرآن، كما روي عنه (ص) قال: (صَلُّوا كما رأيتموني أصلي)<sup>(٣٨)</sup>.

ثالثاً «التقرير»: بمعنى أن يُفسر القرآن بحضور النبي(ص) وبمضيه النبي(ص).

ومن المفيد أن نضيف أن ما تقدم من تفصيل للسنة جاء طبقاً لمذهب اهل البيت (ع)، حيث أضافوا أيضاً الى سنة الرسول(ص) ما وصلهم من أقوال وأفعال وتقارير الأئمة المعصومين (ع). أما المذاهب الإسلامية الأخرى فقد أضافوا الى سنة الرسول(ص) ما وصلهم من أقوال (الصحابية) و (التابعين)، باعتبار كلا المدرستين يتمسكون بالطريق القطعي الذي به تم حفظ السنة النبوية المطهرة.

وما يؤكد أهمية السنة النبوية في فهم وتفسير القرآن الكريم، ما صرح به القرآن الكريم في قوله تعالى: {وَإِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِنُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} سورة النحل / الآية ٤٤، ويتجلى

## ٥- المصادر التاريخية والجغرافية:

بعض الآيات القرآنية لها ارتباط في التاريخ والجغرافيا بما يعبر عنه المحققين في علوم القرآن (بأسباب النزول) فهذه الوقائع رغم تأثيرها في فهم وتفسير القرآن، ولكن لتفسير الآية وتطبيقاتها على العصور والأجيال يستلزم الغاء خصوصية الزمان والمكان وشأن النزول كما بينا سابقاً، ولكن يمكن أن تكون هذه المصادر مؤيدات ومثبتات لما جاء به القرآن الكريم، وهذه المصادر متعددة، فمنها تختص بالأديان السابقة، ومنها المصادر التاريخية قبل الإسلام والمعاصرين لظهوره، ومنها وقعت في صدر الإسلام، ومنها نزلت فيها آيات وهي تعتبر وثائق مهمة للغاية بما نسميها (أسباب النزول)، ومنها مصادر جغرافية تاريخية، وسوف نذكر لبعض ما تقدم نماذج.

قال تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} سورة الانبياء / الآية ٥٠١، فمثل هذا المطلب جاء في زبور داود بالفعل<sup>(٣٣)</sup>، وهكذا قد تعييننا مطالب العهدين أحياناً في تشخيص الاسرائيليات الداخلة ضمن الأحاديث الإسلامية، مثل: خلق حواء من ضلع آدم الأيسر، الذي جاء ذكره في الروايات. وقد ردّ صاحب الميزان هذا معتمداً على مطالب مشابهة جاءت في التوراة، وهكذا يمكن التعامل مع هذه المصادر في الوصول الى فهم وتفسير بعض الآيات ولكن مع توخي الدقة العلمية.

قال تعالى: (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ....) سورة البقرة / الآية ١٧٧، ذكرت هذه الآية التوجه الى المشرق أو المغرب

من الإشارة هنا أنه لم تكن الاستعانة بالعلوم التجريبية في التفسير جديدة بل قد وضع العلماء والمفسرون منذ القديم هذا المنهج وساروا عليه، ومن جملتهم (ابن سينا، وأبو حامد الغزالي، والفخر الرازي، والزرکشي في البرهان، والسيوطي في الاتقان، والمجلسي في بحار الانوار، والطنطاوي في تفسير الجواهر، وسيد قطب في ظلال القرآن، والطباطبائي في تفسير الميزان، ومكارم الشيرازي في تفسير الأمتل، وهادي معرفة في التمهيد في علوم القرآن)<sup>(٣٤)</sup>، وقد أكد بعض المحققين المعاصرين دور النتائج العلمية في الفهم والتفسير كالشيخ جعفر سبحاني<sup>(\*\*\*\*)</sup>، كما قام الكتاب في معرفة طرائق تفسير وفهم القرآن بدراسة العلوم التجريبية الطبيعية والاجتماعية وأفردوا لها عنوان خاص في تفاسيرهم<sup>(٣٥)</sup>. وبغض النظر عن المساحة التي تشغلها العلوم التجريبية في فهم النص القرآني وتفسيره إلا أنها باتت مصدراً مهماً من المصادر التي يعتمد عليها في هذا الاتجاه.

ومن ضمن التطبيقات قوله تعالى: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} سورة يس / الآية ٣٨، فكان الاعتقاد السابق في صدر الإسلام إن الشمس ليس لها حركة إلا الحركة الحسية والحال أثبت العلم الحديث أن لا حركة للشمس من المشرق الى المغرب، وإنما القمر والارض هما المتحركان حول الشمس، وأما حركة الشمس فتكون لها حركة إنتقالية وهكذا كل ما في هذا الكون هو متحرك حركة واقعية ولذا عبر القرآن عنها بالجريان.

والحال أن المدينة تقع شمال مكة وجنوب بيت المقدس، فكان الأولى أن تقول الآية: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ} فيفهم من ذلك، أن المقصود من الشرق والغرب في الآية: قبلة اليهود والمشركين، لا الشرق والغرب الاصطلاحيين<sup>(٣٤)</sup>.

نعم بعض المفسرين كالعلامة الطباطبائي لا يولون أسباب النزول أهمية كبيرة، واخرجوها من المتون التفسيرية، ولكن الأكثر ينقلونها ويستفيدون منها ومما فيها من نكات تفسيرية<sup>(٣٥)</sup>.

## ٦- اللغة العربية وآدابها:

لقد نزل القرآن الكريم باللغة العربية، مما يعني أن الأدب العربي واحد من المصادر والمراجع في فهم القرآن وتفسيره، وعدم الاهتمام باللغة العربية يترتب عليه الوقوع في الخطأ والزلل في فهم وتفسير القرآن، والمقصود من آداب اللغة العربية (علم اللغة، والصرف، والنحو، وعلم البلاغة، الذي يتضمن المعاني، والبيان، والبديع).

إن الاطلاع الدقيق للقرآن الكريم يؤكد أنه جاء مطابق لمقتضى حال المخاطبين ومملوء بالنكات البلاغية والبيانية مثل: (التأكيد، والتقديم، والتشبيه، والاستعارة، والكنائية، والحصر، والإيجاز، والقصر)، وغيرها مما يصطلح عليه (بالمعاني الثانوية)، فضلاً عن تطبيقات البديع والمحسنات، من (جناس، وطباق، ومقابلة، والأسلوب الحكيم)، وغيرها، وأنه يوصل مراده ومقاصده بأبلغ صورة<sup>(٣٦)</sup>، ومن الأمثلة على ذلك:

١- التأكيد في مقابل المنكرين: {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} سورة الفجر / الآية ١٤ .

٢- التقديم والتأخير في الآية: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} سورة الفاتحة / ٥ .

٣- الاستعارة في الآية: {وَاشْتَغَلَّ الرَّأْسُ شَيْبًا} سورة مريم / الآية ٤ .

٤- التشبيه في الآية: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} سورة البقرة / الآية ١٨٧ .

ومن الطبيعي فإن عدم فهم بعض النكات البلاغية والتشبيهات والمجازات يؤدي في بعض الأحيان الى الزلل والوقوع في الخطأ في فهم وتفسير الآيات مثلاً: {يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} سورة الفتح / الآية ١٠ ، {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} سورة طه / الآية ٥ .

## ٧- علوم القرآن :

هذا المصطلح (علوم القرآن) يطلق على مجموعة من العلوم المرتبطة بالقرآن، وهي (الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، واسباب النزول، وتاريخ القرآن، وإعجاز القرآن، والقراءات، والمكي والمدني، و... من أبحاث و عناوين أخرى وردت في روايات اهل البيت(ع) )<sup>(٣٧)</sup> .

اعتبر العديد من المعاصرين: أن علوم القرآن في جملة العلوم الضرورية للمفسر<sup>(٣٨)</sup> .

## ٨- الشهود والمكاشفة :

أحد طرائق المعرفة بالنسبة للإنسان، طريق الشهود، ونعني به أن الانسان أحياناً يرتبط بعالم الغيب والإلهامات الإلهية والمكاشفات الروحية فيدرك الحقائق دون واسطة بشكل شهودي، بمعنى ارتفاع حجاب الطبيعة وتتجلى الحقائق امامه، فهل مثل هذه الحقائق معتبرة وتكون مصدراً للفهم والتفسير؟

اهتم بعض مفسري القرآن بالعلوم الشهودية في التفاسير اهتماماً خاصاً من جملتهم: (التستري في تفسير القرآن العظيم، والمبيدي في كشف

## أهم نقاط الاشتراك بينهما:

- ١- اتفاهم في الهدف والغاية من وراء فهم وتفسير النص، وهو الوصول الى المراد الجدي للماتن.
- ٢- اتفاهم على أن تبدأ الخطوة الأولى في الفهم من المحدد اللغوي.

٣- اتفاهم على ضرورة أن يتصف المُفسّر للنص بروح ملهمة تنبؤية كما عبر عنها (دلناتي)، وعبر عنها بعض المفسرين كالعلامة (التستري) بالكشف، واستشراف الحقائق المحجوبة .

٤- اتفاهم على عدم اعتبار مرتكزات ذهن المُفسّر ومرتكزاته الشخصية ذات تأثير على تفسير وفهم النص .

٥- اتفاهم على إمكان تحكيم ضابطة معينة ثابتة غير قابلة للتغيير في تفسير النص.

٦- اتفاهم على إمكانية أن يكون هناك (وسيط) بين الماتن وبين المتلقي، أطلق عليه علماء الهرمنيوطيقا (هرمس)، وهو الرسول أو النبي.

## أهم نقاط الاختلاف بين الاتجاهين:

- ١- اختلفوا في المحدد النفسي أو الذاتي الذي جعله (شلاير ماخر) مرتكزا أساسياً في فهم وتفسير النص، وهذا المحدد يبحث في أحوال شخصية الماتن من كل الجهات، النفسية، والفكرية، والاجتماعية، وقابليته الذهنية... الخ، بل وذهب أبعد من ذلك، حيث أكد على ضرورة أن يصل المُفسّر للنص درجة يكون فهمه للنص أفضل من فهم الماتن له، وجعل ذلك شرطاً

الأسرار وعدة الأبرار، والسلمي في حقائق التفسير، والتشيري في لطائف الإشارات). ولكن بعض أهل النظر لم يقبلوا حجية العلوم والمعارف اليهودية في تفسير القرآن الكريم، وكان ردهم: هو كشف شخصي ولا يمكن تعميمه وبالمحصلة لا يكون حجة على الآخرين<sup>(٣٩)</sup>.

## ٩- الاجماع :

نعني به اتفاق جميع علماء الدين في عصر. وقد عرفه علماء أصول الدين من الشيعة والسنة بعدة تعريفات ، الشيخ الانصاري عرفه بقوله: هو اتفاق جميع العلماء في عصر. وعرفه العلامة الحلبي: (هو اتفاق أهل الحل والعقد من أمة محمد (ص))<sup>(٤٠)</sup>.

كان الاجماع موضع اهتمام العلماء باعتباره أحد مصادر الفقه، وتم بحثه بشكل مفصل في علم الأصول، وكان محل اهتمام المفسرين في التفسير ايضاً، حتى أن الشيخ الطوسي كتب في مقدمة تفسير التبيان: (لا ينبغي لأحد أن ينظر في تفسير آية لا ينبئ ظاهرها عن المراد تفصيلاً إلا أن يكون التأويل مجمعاً عليه، فيجب اتباعه لمكان الإجماع)<sup>(٤١)</sup>، كما أن الشيخ معرفة يرى: أن إجماع الأمة في المتشابهات معتبر وحجة<sup>(٤٢)</sup>.

## البحث عن المشتركات ونقاط الاختلاف

بعد التعرف على المرتكزات التي اعتمدها العلماء من المفسرين للنص القرآني وأهم رموز الهرمنيوطيقا، يمكن لنا أن نلخص المشتركات والاختلافات بين المدرستين، ونبدأ بنقاط الاشتراك وبعد ذلك نستعرض نقاط الاختلاف.

٥- لقد اعتمد علماء الهرمنيوطيقا منهجاً مغايراً لما سار عليه علماء التفسير، وذلك من خلال تركيزهم على التعرف على الماتن كطريق لفهم وتفسير النص، وهذا يختلف اختلافاً جوهرياً مع المنهج الذي اتخذته المدرسة التفسيرية حيث ركزت على المتن باعتباره يمثل المراد الجدي للماتن، ولقد نقلنا تفاصيل ذلك في طيات هذا البحث.

## الخاتمة

بعد عرضنا لنقاط الاشتراك والاختلاف بين المدرستين، يمكن مناقشة بعض ما طرح في البحث، وما نقلنا من نقاط الاختلاف والاشتراك بينهما بنقاط:

أولاً: من الأمور التي اتفق عليها العقلاء ووضعوه مقياساً ومعياراً في تفسير وفهم المتن والنصوص واستكشاف المراد منها، هو قانون المحاورات العقلائية، ويتضمن هذا القانون ما يلي: ان كل متكلم عاقل يعبر عن مراده وغاياته عن طريق استعماله مفردات لغوية يفهمها هو والمخاطبين، ويكون هذا الخطاب متضمناً كل ما يريد ايصاله من معاني ومقاصد، وأيضاً فإن هذا الخطاب يمكن أن يكون مقياساً لمدى نضج وكمال المتكلم أو الماتن، وهذا المعنى متداول حتى في الحياة العادية في جميع المجتمعات البشرية، نعم قد يكون هناك اختلاف بين المُفسِّرين في استنتاج النص فيختلفون في (تأويله) وصولاً إلى مراده وهنا ليس الخلل في قانون المحاورات العرفية بل في استعداد المُفسِّر أو في المنهج التفسيري الذي أعتده في تفسير وفهم الخطاب، وبناءً على هذا، فإن علماء الهرمنيوطيقا، في اتخاذهم منهجاً آخر بما أسموه (المحدد النفسي) وترتب عليه ما يلي:

١- صحة جميع القراءات والتفسيرات المختلفة لمتن واحد، وذلك لعدم اعتمادها على قانون المحاورات العقلائية، ومن جهة أخرى

أساسياً في تفسير وفهم النص. وفي المقابل ركز علماء التفسير على المتن باعتباره النص المعبر عن مراد الماتن، ولأن المتكلم أخذ بنظر الاعتبار في النصوص التي ذكرها أمرين. الأول: في كون النص تعبيراً عن مقاصده ومراده، وثانياً: جاء خطابه متطابقاً مع فنون التخاطب العرفي العام.

٢- اختلفوا في المحدد اللغوي، حيث جعله (شلاير ماخر) و(دلثاي) مرتكزاً مستقلاً يمثل المرحلة الأولى في فهم وتفسير النص. بينما المدرسة التفسيرية لم تجعل هذه المرحلة حاسمة في التوصل إلى فهم وتفسير النص، بل أضافت لها مصادر تفسيرية متعددة، (كالسنة، والعقل، والإجماع... الخ) كما هو موضح فيما وضحناه في مصادر التفسير.

٣- لقد أضاف (دلثاي) شرطاً آخر إلى المحددين التي ذكرهما (شلاير ماخر) وهذا الشرط أطلق عليه (الروح التنبؤية)، فقال: انه من الضروري أن يكون للمفسِّر قدرة الربط بين الكلمات والجمال وأن يتمتع بروح ملهمة للتعرف على كل التفاصيل. وهذا الشرط وإن تبناه البعض من المدرسة التفسيرية، وأطلق عليه (الكشف) وجعله مصدراً من مصادر التفسير، إلا أن ذلك لم يلقى بإجماع علماء هذه المدرسة كما تقدم التفصيل به.

٤- لقد ركز علماء الهرمنيوطيقا في فهم النص من خلال محددات ثلاثة، وهي (المحدد اللغوي) و(المحدد النفسي) والشرط الذي وضعه دلثاي وأسماه ب (الروح التنبؤية). أما المدرسة التفسيرية فقد اعتمدت على مرتكزين أساسيين في فهم النص وهما (المرتكز العقلائي، والمرتكز الآخر مصادر التفسير) ويعتبر هذا الاختلاف بينهما جوهرياً.

اعتمادها على المحدد النفسي في معرفة المتكلم كطريق لمعرفة النص وتفسيره.

٢- تهيئة الأرضية للتفسير بالرأي، وذلك لوجود اختلاف القابليات في القدرة على التعرف على شخصية المتكلم والاحاطة الكاملة لشخصيته اللغوية والمعرفية والنفسية، وإذا أضفنا البعد الزمني والمركزات الذهنية والثقافية للمفسر فسوف يكون الباب أوسع لظهور أفواج من مفسر الرأي.

٣- ان القراءات المختلفة للنصوص حسب النظرة الهرمنيوطيقا سوف تبرر اعتقادات جميع الفرق والمذاهب والأديان، من خلال اعتماد واعتقاد كل دين او مذهب بقراءته الخاصة.

٤- فقدان ضابط ومعيار واضح ومنطقي لفهم وتفسير النصوص الدينية والخطاب القرآني بالخصوص.

٥- ويترتب على اعتمادها على المحدد النفسي في فهم النص وعدم الاعتناء بالمراد الجدي للمتن.

ثانياً: من المعروف ان الخطاب القرآني خطاب جامع للقوانين والتشريعات الإلهية المقررة لجميع أفراد البشر وبدون استثناء الى يوم القيامة، وبحسب نظرية علماء الهرمنيوطيقا لا بد إن يكون هناك وسيط بين الخطاب الصادر من قدرة مطلقة وبين المخاطبين، وهذا الوسيط اسموه (هرمس) ويتمتع بقابليات واستعداد عالي حتى يتمكن من فهم وتفسير الخطاب، وهنا يأتي سؤال في غاية الأهمية، لو كان الخطاب الذي فهمه

وفسره الوسيط، متطابقاً مع المراد الجدي للماتن فهل سوف يقبل علماء الهرمنيوطيقا من الوسيط وهو (هرمس) ذلك الفهم والتفسير؟ الجواب: كلا، ولذلك لسبب بسيط جداً، وهو أن الهرمنيوطيقا لا تلتزم بوسيط واحد، فإنها لا تمنع أن يكون في كل زمان (هرمس) قد يفسر ويفهم النص السابق بطريقة مختلفة عن الطريقة التي أخذها الوسيط السابق، وعلى هذا فان الهرمنيوطيقا قد وفرت الأرضية المناسبة لظهور المناهج والاتجاهات المختلفة في فهم وتفسير النصوص الدينية. وأما المدرسة التفسيرية فإنها لم تقع بهذا المطب، حيث ألتزمت بكل ما وصلها من الوسيط، إن على مستوى النص، أو التفسير والتبيين والفهم.

وما هو موجود من اختلاف في المناهج والاتجاهات بين المفسرين ليس مرده عدم قبول ما جاء به الوسيط، وانما بسبب الخطأ في التأويل أو الطرائق التي نقلت ما فسره وبيته الوسيط.

ثالثاً: لقد عرفنا بأن المحدد الأول في فهم وتفسير النص عند علماء الهرمنيوطيقا هو المحدد اللغوي، وذكروا في حالة عدم كفاية هذا المحدد للتوصل الى الفهم، تنتقل الى المحدد النفسي، ثم أضاف اليه (دلثاي) شرطاً آخر وهو (الروح التنبئية) وهنا عدة تساؤلات:

١- هل ظهور اللفظ في معناه المتعارف عند عرف العقلاء، يكون ضمن المحدد اللغوي، أم لا يكون، فاذا كان كذلك فسوف يكون هناك اتفاق بين الهرمنيوطيقا وعلم التفسير في هذه المرحلة من فهم وتفسير النص، بشرط ألا تكون هناك قرينة صارفه

الى غير المعنى الظاهري، أما إذا قلنا بالنفي، فهنا يلزم علينا الحكم بالاختلاف بينهما في هذا الاتجاه.

٢- هل الانتقال الى خطوة المحدد النفسي، بعد عدم كفاية المحدد اللغوي في فهم النص، مقبولة عند العقلاء أم غير مقبولة، فإذا قلنا بالأول، فهذا يعني بالمحصلة المنطقية أن العقلاء قد حكموا بعدم أهمية مصادر التفسير القرآني في فهم وتفسير القرآن، وإذا قلنا هي ليست مقبولة عند العقلاء، فهذا يعني بالنتيجة وعلى أقل ما يقال، إنها خطوة اختزلت الكثير من الخطوات التي كان على علماء الهرمنيوطيقا إضافتها لكي يحققوا فهماً وتفسيراً للنص قبل الاستفادة من المحدد النفسي.

وطبقاً لطريقة العقلاء في فهم وتفسير النص، فقد استفاد علماء التفسير من الخطوات التي اختزلها علماء الهرمنيوطيقا، وجعل المصادر التفسيرية بعضهم الى أكثر من تسعة مصادر، تساهم بشكل جدي الى فهم وتفسير النصوص والتوصل الى المراد الحقيقي للماتن.

## الهوامش

١- عبدالكريم شرفي ، من فلسفات التأويل الى نظريات القراءة، ص ١٧.

٢- نصر حامد أبو زيد ، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص ١٣.

٣- عادل مصطفى ، فهم الفهم ، مدخل الى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من افلاطون الى غادمر الفصل الخامس .

٤- المصدر نفسه الفصل الخامس .

٥- المصدر نفسه، ص ٣٤.

٦- المصدر نفسه، ص ٢٤.

٧- كتاب التأويلية (الهرمنيوطيقا)، ص ١٢-١٦.

٨- التأويلية الهرمنيوطيقا (aldhla) ، ص ٩.

٩- محمود سيد أحمد، فلسفة الحياة (دلثاي) نموذجاً، ص ٦١.

\*- التفسير الذي يعتمد على صحيح المنقول والآثار الواردة في الآية فيذكرها، ولا يجتهد في بيان معنى من غير دليل، ويتوقف عما لا طائل تحته، ولا فائدة في معرفته ما لم يرد فيه نقل صحيح.

\*\* - في مقدمة معالم التنزيل للبعوي : ان التفسير بالمعقول، هو : التفسير العقلي الذي يعتمد فيه على الفهم العميق والإدراك المركز لمعاني الألفاظ القرآنية ، بعد إدراك العبارات القرآنية التي تنظم في سلكها تلك الألفاظ الكريمة ، وفهم دلالاتها فهماً دقيقاً ، وهذا القسم من التفسير يقوم على الاجتهاد في فهم النصوص .

١٠- عادل مصطفى ، فهم الفهم، مدخل الى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من افلاطون الى غادامي ، ص ٦٨ .

\*\*\*- كان مجاهد أول من أعمل النظر في فهم الآيات الى جنب ما رواه عن السلف ونقل آراءهم. وتوسع بن جرير الطبري في الجرح والتعديل، والأخذ بمبدأ الترجيح، واعمال النظر في أكثر من موضع من تفسيره الذي يعتبر من أكبر الكتب التفسيرية بالمأثور. (كتاب التفسير والمفسرين، هادي معرفة).

١١- بومدين بوزيد، الفهم والنص، ص ١٣.

١٢- سامي إبراهيم ، منهجية التأويل عند ابن رشد واختلافها عن المناهج التأويلية الغربية المعاصرة، ص ١٠٦.

١٣- كتاب مفهوم الهرمنيوطيقا الأصول الغربية والثقافية العربية ، ص ١٧٠.

١٤- دايفد جاسبر ، كتاب مقدمة في الهرمنيوطيقا، ص ١١٩.

١٥- المصدر نفسه، ص ١٣٣.

١٦- محمود سيد علي ، دلثاي وفلسفة الحياة، ص ١١.

١٧- المصدر نفسه ، ص ٣٨.

١٨- محمود سيد أحمد ، دلثاي وفلسفة الحياة، ص ٣١.

١٩- المصدر نفسه، ص ٤٠-٤١.

- ٢٠- أم، انش ابرامو، ترجمة: باقر جاسم محمد، التفسير والتأويل، ص ٨.
- ٢١- كتاب: الظاهر اتيه والرمز، جاسم حميد جودة، ص ٣١٧-٣١٨.
- \*\*\*\*- إن الفرق بين القضية الحقيقية والخارجية، هو أن الحقيقية لا تختص بالمخاطبين في زمن نزول الخطاب بل يكون الخطاب موجه لكل إنسان الى يوم القيامة، بعكس القضية الخارجية فأنها تخص المخاطب في زمن النزول.
- ٢٢- راجع كتاب دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية (الشيخ علي أكبر السيف المازندراني) ص ١٠٠-١٠١.
- ٢٣- التبيان، ٤/١.
- ٢٤- مجمع البيان ٣/١.
- ٢٥- البرهان في علوم القرآن ٢/١٣٦-١٦٤.
- ٢٦- المبادئ العامة لتفسير القرآن، ص ٥٣.
- ٢٧- بحث القواعد المشتركة بين التفسير وعلوم القرآن بحث من كتاب (أصول وقواعد التفسير)، محمد علي الرضائي، ص ٢١٩.
- ٢٨- بحار الأنوار: ٢٧٩/٨٥.
- ٢٩- بعض الكتب أحصى عدد الآيات العلمية الى ١٣٢٢، كتاب العلوم في القرآن والجمال: ص ٣٥-٣٦.
- ٣٠- مدخل للتفسير العلمي في القرآن، والتفسير العملي في الميزان، ومنهج التفسير العملي في التأريخ، محمد عليا الرضائي الأصفهاني.
- ٣١- التفسير الصحيح للآيات المشككة السبحاني، ص ٢٩٢.
- ٣٢- يراجع تفسير الميزان فيما كتبه من بحوث علمية واجتماعية.
- ٣٣- الكتاب المقدس، زبور داود، مزبور ٣٧، رقم ٩، ١٧، ١١، ١٨، ٢٩.
- ٣٤- تفسير الأمتل ج ١ / ٥٩٧.
- ٣٥- ممن استفاد منها، تفسير مجمع البيان، والامتل.
- ٣٦- يراجع كتب البلاغة والفصاحة مثل: المطول للتفتزاني، وجواهر البلاغة لأحمد الهاشمي، وشوط وآداب التفسير والمفسرون لكامران ايزدي: ص ٧٧ وما بعدها.
- ٣٧- تفسير العياشي: ٩/١: والاتقان في علوم القرآن للسيوطي ٥٩/٣: والصادي: ١٢/١-١٣.
- ٣٨- كتاب شروط وآداب التفسير والمفسر كامران ايزدي: ص ٩٣: وكذلك: منهج تفسير القرآن: ص ٣٥١.
- ٣٩- مباني وروشهای تفسير القرآن الكريم، عميد زنجاني، ص ٣٢٧-٣٢٨ بتصرف.
- ٤٠- تهذيب الوصول، العلامة الحلي، ص ٦٥.
- ٤١- التبيين: ٦/١.
- ٤٢- التفسير والمفسرون، هادي معرفة، ٦٢/١.



## المصادر

- ٢٤- المبادئ العامة لتفسير القرآن: محمد حسين الصغير.
- ٢٥- مبانى وروشهاى تفسير القرآن الكريم: عميد زنجاني.
- ٢٦- منهج تفسير القرآن .
- ٢٧- مجمع البيان للطبرسي .
- ٢٨- محمود سيد أحمد. فلسفة الحياة (دلثاي) انموذجاً
- ٢٩- مدخل للتفسير العلمي في القرآن، محمد علي الرضائي الأصفهاني .
- ٣٠- التفسير العملي في الميزان ، محمد علي الرضائي الأصفهاني.
- ٣١- منهج التفسير العملي في التأريخ: محمد علي الرضائي الأصفهاني .
- ٣٢- تفسير الامثل : للشيرازي .
- ٣٣- منهجية التأويل عند ابن رشد واختلافها عن المناهج التأويلية الغربية المعاصرة ، سامي محمود ابراهيم .
- ٣٤- التأويل في مختلف المذاهب و الآراء: العلامة محمد مهدي معرفة .
- ٣٥- دروس في القواعد التفسيرية : الشيخ علي اكبر السيفي المازندراني .
- ١- أصول وقواعد التفسير : محمد علي الرضائي
- ٢- بحار الأنوار: المجلسي .
- ٣- البرهان في علوم القرآن : للزركشي .
- ٤- البيان في تفسير القرآن : للسيد الخوئي .
- ٥- التبيان: الشيخ الطوسي.
- ٦- التفسير الصحيح للآيات المشككة :السيحاني.
- ٧- تفسير العياشي.
- ٨- الاتقان في علوم القرآن: للسيوطي والصافي .
- ٩- تفسير جامع البيان: للطبري .
- ١٠- التفسير والتأويل: أم، اتش ابرامو، ترجمة: باقر جاسم محمد .
- ١١- التفسير والمفسرون : هادي معرفة .
- ١٢- تهذيب الوصول: العلامة الحلي .
- ١٣- دلثاي وفلسفة الحياة: محمود سيد علي .
- ١٤- دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية : الشيخ علي أكبر السيف المازندراني.
- ١٥- دراسات فلسفية ، سامي ابراهيم .
- ١٦- الظاهر اتية والرمز ، جاسم حميد جودة .
- ١٧- فهم الفهم، مدخل الى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من افلاطون الى غادامير.
- ١٨- الفهم والنص: بومدين بوزيد .
- ١٩- كتاب العلوم في القرآن والجمال .
- ٢٠- الكتاب المقدس، زبور داود، مزبور.
- ٢١- كتاب شروط وآداب التفسير والمفسر: كامران ايزدي
- ٢٢- كتاب مفهوم الهرمنيوطيقا الأصول الغربية والثقافية العربية .
- ٢٣- كتاب مقدمة في الهرمنيوطيقا دايفد جاسير .

**Read the Quranic text**  
**Between romanticism and theoretical interpretation**  
**Comparative research**

Mohammed Hussain sadiq  
House of Wisdom  
Religion Studies Department

This research is concerned with the study of the language of the Quran, a systematic study that adopted the accuracy of the study of science of hierarchy since its inception until it became a science possessing knowledge stock set by specific rules, and with the multiplicity of schools but it maintained the purpose for the foundations of this science, and the main goal is understanding the text, whether the text is religious, literary or historical, and therefore devoted many of the titles so that we can be fully briefed in all its dimensions. This study discussed the most important problems that have been recorded on this science, whether at the theoretical level or the cognitive product of its pioneers who had a presence on the scene which is Islamic. They were influenced by this Western product and carried its banner, and presented a lot of research, and then we tried to search for the fruits that can be used to understand the Quranic texts, and devoted a special title. As for the language of the Quran, they touched on what distinguishes the language of the Quran from the Arabic language, and then we dealt with the Islamic schools that dealt with the texts of the Quran interpretation and understanding and interpretation are three, virtual, esoteric, and compromise, and then singled us in search of the school of secularism in which we demonstrated the difference. They then reviewed some examples of the symbolism of the Quran and how to deal with it in the framework of the right approach.